العربي الصحيح هو اللسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الاخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الاجماع وان يعدّ كل ماوراء هذا من الخلاف بين ائمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لاينكث من فتل الاخوّة الاسلامية ، وكل ماهو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وماعدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فما يجب التنبيه عليه تربية الإرادة والمزيمة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعي تبع للشخصي وتربية الاخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تعدّ للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعليم الاسلامي وفق الله المسلمين لتحقيقه ، والسير طريقه . آمين

آثار علمية

مقرظنا لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمنُ علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان ، فله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الاميين ، فكانوا بذلك امة وكانوا هم الوارثين

الانسان يمتاز بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعليم باللغة . واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلمها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والالقاء والخفة على السمع . وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح . والجواد الفارج ، يعرف ذلك من اخذها بحق ، وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغير العارف ان اولئك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم التي كان للغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعليم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن نسخت

بطيئها لغة المصريين من معمرهم والرومانيين من شامهم واستعلت على الفارسية المذبة في مهدها وموطنها وامتد شعاعها الى الاندلس في غربي أوربا بعد ماطاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لنشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أمين وثنيين جاهليين فظهر فيها أكمل الأديان فكانت له أكمل مظهر ، وتجلى لها العلم فكانت له خير مَجْلَى . وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عَدَتْ على أهلها عوادٍ كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوّم من مقوّمات الامم الحية ، ومن تلك المقوّمات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الالسنة والتوى طريق تعليمها في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريعان شبابها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجمل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ، ومغازي التركيب ، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا ما بعث عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته يتنسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز جانبها وتشد أسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فناً مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبدالقاهر من بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإلمام بتاريخ الفنون اهمل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي الا عيالا على عبد القاهر تلاملوه وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته والتعقيد في بعض منازعه ، فاذا جاز لنا

ان نقول أنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، فانا لانفي من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار الكلام ، ووضع درره في أبدع نظام ،

كان السكاكيّ وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل وأضرابه من البلغاء العاملين وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا في الاختصار والايجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعمّيات والالغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، ودَرَسَتْ رسومهُ بهاتيك الرسوم ، وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيارُ هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ، فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ، وهذا هو حظ العلم النافع اذا ألقي الى الامة في طور التدلّي والضعف ، فمثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان سليمان العثماني في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عافته النفس لمرض المّ بها حتى اذا نقهت أو ابلّت اشتهته وطلبته وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء ما أماته الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحيّ الذي تفجر من ينابيع النفوس الحية لتفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي ألفيت إمام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخه من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لايوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فابى الطالب . وعلمنا ان نسخة أخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار الخلافة السنية فندبنا بعض

طلاب العلم الاذكياء نسختنا بتلك النسخة نفرغ لنا من تحريرها ... صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن حمل الكتاب ما رأيناه يستحق التفسير وأشرنا الى الخلاف بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الاثنتين ،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من العلماء الاعلام أجلهم قدراً ، وأرفعهم ذكراً ، أمير المؤمنين في علوم اللغة والدين ، السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (الطراز ، في علوم حقائق الاعجاز ،) فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبدالقاهر ما نصه :

« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من اكمامها ، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجمل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والاجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي بحبهما وشدة اعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على الانظار مع التنبيه على مسئلتين نافعتين (احداهما) ان العلم هو صورة المعلوم مأخوذة عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنتزع من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسبها وتقربها من الفهم فهو المثل . (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية والامثلة والشواهد صور تفصيلية لها . والتعليم النافع انما يكون بقرن الصور المفصلة بالصورة المجملة اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالاجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو بعطيك علمها بمعانيه ، وعملها ببيانيه ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لانها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارات اصطلاحية ، تنكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والامثلة الا القليل النادر ، الذي أدلى به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،

هذا بادر الأستاذ الأعظم معلي الديار المصرية في هذه الأيام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشريف عقيب شروعنا في طبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة المدارس الأميرية . وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الأساتذين بعد حضور الدرس الأول : إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان .

وقد ظهر للأستاذ في غضون التدريس والمطالعة أغلاط في الكتاب بعضها من الطبع وبعضها من تحريف النساخ في الأصل وأغلاط أخرى في الهوامش فأحصيناها كلها من نسخه ووضعنا لها جدولا في آخر الكتاب اتماماً للفائدة . ومما يجب التنبيه عليه أن بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فإن المصنف رحمه الله تعالى كان يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) أه ويلي هذا ترجمة المصنف

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لمجتهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)

يتعب طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب فيضيع نصب الأكثرين سُدًى لاشتغالهم بكتب المتأخرين المحشوّة بالفروع الشاذة وغير الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً ولو أفنى عمره في المدارسة . وقد كان لهؤلاء بعض العذر قبل أن يطبع هذا الكتاب (فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها وترجيحها الى أصولها . وقد كان العلماء يتنافسون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابدين المشهور ضمّر نسخته فاشتراها بوزنها دهباً . وقد كان طبع في الهند فطلب نسخاً منه أكابر فقهاء الحنفية فألفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الغني الرافعي رحمه الله تعالى) : توراة مبدّلة . أي انه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخيراً السيد عبد الواحد بك الطوبي وأخوه في المطبعة الأميرية واعتنى بتصحيحه وأضيف اليه تكملته المسماة (نتائج الأفكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده . ووضع في هامشه (شرح العناية على الهداية) لأكمل الدين البابرتي وحاشية سعدي جلبي المفتي الشهير فبلغ الجميع ثمانية مجلدات وجعل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباقي ويطلب من مكتبة طابعيه في مصر فتوجه اليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة